

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

٨-١-١٤٠٢ سورة النمل ٤

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

سورة النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَ
كِتَابٍ مُبِينٍ (١)

طس

سورة النمل

هُدًى وَ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢)

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣)

سورة النمل

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
 رَبَّنَا لَهُمْ أَغْمَالُهُمْ فَهُمْ
 يَغْمَهُونَ (٤)

سورة النمل

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَ
 هُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ
 الْأَخْسَرُونَ (٥)

سورة النمل

وَإِنَّكَ لَتُلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ
حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦)

سورة النمل

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ
نَارًا سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ
بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧)

سورة النمل

فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ
فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ
اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨)

سورة النمل

يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ (٩)

سورة النمل

وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ
كَأَنَّهُهَا جَانٌّ وَلِيٌّ مُّذَبِّرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ
يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ
لَدَى الْمُرْسَلُونَ (١٠)

سورة النمل

إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ
سُوِّءٍ فَأَنَّى غُفُورٌ رَّحِيمٌ (١١)

سورة النمل

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ
بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ
آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ
كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢)

سورة النمل

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا
هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣)

سورة النمل

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ
ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)

سورة النمل

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا
وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا
عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ
الْمُؤْمِنِينَ (١٥)

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا وَ قَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ

• (بيان)

- نبذة من قصص داود و سليمان ع و فيها شىء من عجائب أخبار سليمان بما آتاه الله من الملك.
- قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا» إلخ، فى تنكير العلم إشارة إلى تفخيم أمره، و مما أشير فيه إلى علم داود من كلامه تعالى قوله: «و آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَ فَوَّضْنَا إِلَيْهِ الْخِطَابَ» ص: ٢٠. و مما أشير فيه إلى علم سليمان قوله: «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَ كَلَّمَا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا» الأنبياء: ٧٩، و ذيل الآية يشملهما جميعا.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا وَ قَالَا الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ

- و قوله: «وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ»
المراد بالفضل إما التفضيل بالعلم على ما ربما يؤيده سياق الآية، و
إما التفضيل بمطلق ما خصهما الله به من المواهب كتسخير الجبال و
الطير لداود و تليين الحديد له و إيتائه الملك، و تسخير الجن و
الوحش و الطير و كذا الريح لسليمان و تعليمه منطق الطير و إيتائه
الملك على ما يستدعيه إطلاق التفضيل.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا وَ قَالَا الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ

- و الآية أعنى قوله: «و قالا الحمد لله» إلخ، على أى حال بمنزلة حكاية اعترافهما على التفضيل الإلهي فيكون كالشاهد على المدعى الذى تشير إليه بشاره صدر السورة أن الله سبحانه سيخص المؤمنين بما تقر به عيونهم و مثلها ما سيأتى من اعترافات سليمان فى مواضع من كلامه.

سورة النمل

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَ قَالَ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ
وَ أَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا
لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦)

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ

- اخبر الله تعالى أن سليمان ورث داود. و اختلفوا فيما ورث منه،
- فقال أصحابنا إنه ورث المال و العلم.
- و قال مخالفونا: انه ورث العلم، لقوله (ص) نحن معاشر الأنبياء لا نورث.
- و حقيقة الميراث هو انتقال تركة الماضي بموته الى الثانى من ذوى قرابته.
- و حقيقة ذلك فى الأعيان، فإذا قيل ذلك فى العلم كان مجازاً.

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ

- و قولهم: العلماء ورثة الأنبياء
- ، لما قلنا. و الخبر المروى عن النبي (ص) خبر واحد، لا يجوز أن يخص به عموم القرآن و لا نسخه به.
- و قال بعضهم: إن داود كان له تسعة عشر ولداً ذكوراً و ورثه سليمان خاصة، فدل على أنه إنما ورثه العلم و النبوة، فخير واحد لا يلتفت اليه.

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ

- قوله تعالى: «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ» إلخ، أى ورثه ماله و ملكه،
- و أما قول بعضهم: المراد به وراثته النبوة و العلم ففيه
- أن النبوة لا تقبل الوراثة لعدم قبولها الانتقال، و العلم و إن قبل الانتقال بنوع من العناية غير أنه إنما يصح فى العلم الفكرى الاكتسابى
- و العلم الذى يختص به الأنبياء و الرسل كرامة من الله لهم وهبى ليس مما يكتسب بالفكر فغير النبى يرث العلم من النبى لكن النبى لا يرث علمه من نبى آخر و لا من غير نبى.

قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ

- و قوله: «و قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ» ظاهر السياق أنه ع يباهي عن نفسه و أبيه و هو منه ع تحدّث بنعمة الله كما قال تعالى: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»: الضحى: ١١،
- و أما إصرار بعض المفسرين على أن الضمير فى قوله: «عَلَّمْنَا» و «أَوْتَيْنَا» لنفسه لا له و لأبيه على ما هو عادة الملوك و العظماء فى الإخبار عن أنفسهم - فإنهم يخبرون عنهم و عن خدمهم و أعوانهم رعاية لسياسة الملك - فالسياق السابق لا يساعد عليه كل المساعدة.

قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ

- و المراد بالناس ظاهر معناه و هو عامة المجتمعين من غير تميز لبعضهم من بعض
- و قول بعضهم إن المراد بهم عظماء أهل مملكته أو علماءهم غير سديد.

وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ

- والمنطق و النطق على ما نتعارفه هو الصوت أو الأصوات المؤلفة الدالة بالوضع على معان مقصودة للناطق المسماة كلاما و لا يكاد يقال - على ما ذكره الراغب - إلا للإنسان لكن القرآن الكريم يستعمله في معنى أوسع من ذلك و هو دلالة الشيء على معنى مقصود لنفسه، قال تعالى: «وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا **أَنْطَقْنَا** اللَّهُ الَّذِي **أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ**»: حم السجدة: ٢١،

وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ

- و هو إما من باب **تحليل المعنى** كما يستعمله القرآن في أغلب المعانى و المفاهيم المقصورة فى الاستعمالات على المصاديق الجسمانية المادية كالرؤية و النظر و السمع و اللوح و القلم و العرش و الكرسي و غيرها،
- و إما لأن **اللفظ معنى أعم** و اختصاصه بالإنسان من باب الانصراف لكثرة الاستعمال.

وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ

- وكيف كان فمنطق الطير هو ما تدل به الطير بعضها على مقاصدها، و الذي نجده عند التأمل في أحوالها الحيوية هو أن لكل صنف أو نوع منها **أصواتا ساذجة** خاصة في حالاتها الخاصة الاجتماعية حسب تنوع اجتماعاتها كحال الهياج للسفاد و حال المغالبة و الغلبة و حال الوحشة و الفرع و حال التضرع أو الاستغاثة إلى غير ذلك و نظير الطير في ذلك سائر الحيوان.

وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ

- لكن لا ينبغي الارتياح في أن المراد بمنطق الطير في الآية معنى أدق وأوسع من ذلك.
- أما أولاً: فلشهادة سياق الآية على أنه ص يتحدث عن أمر اختصاصي ليس في وسع عامة الناس أن ينالوه وإنما ناله بعناية خاصة إلهية، وهذا المقدار المذكور من منطق الطير مما يسع لكل أحد أن يطلع عليه و يعرفه.

وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ

- و أما ثانيا: فلأن ما حكاه الله تعالى في الآيات التالية من محاوره سليمان و الهدهد يتضمن معارف عالية متنوعة لا يسع لما نجده عند الهدهد من الأصوات المعدودة أن تدل عليها بتميز لبعضها من بعض

وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ

- ففي كلام الهدد ذكر الله سبحانه و وحدانيته و قدرته و علمه و ربوبيته و عرشه العظيم و ذكر الشيطان و تزيينه الأعمال و الهدى و الضلال و غير ذلك، و فيه ذكر الملك و العرش و المرأة و قومها و سجدتهم للشمس،
- و في كلام سليمان أمره بالذهاب بالكتاب و إلقاءه إليهم ثم النظر فيما يرجعون، و هذه كما لا يخفى على الباحث في أمر المعاني المتعمق فيها معارف جمّة لها أصول عريقة يتوقف الوقوف عليها على ألوف و ألوف من المعلومات، و أنى تفى على إفادة تفصيلها أصوات ساذجة معدودة.

وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ

- على أنه لا دليل على أن كل ما يأتي بها الحيوان في نطقه من الأصوات أو خصوصيات الصوت يفى حسنا بإدراكه أو تمييزه،
- و يؤيده ما نقل من قول النملة في الآيات التالية و هو من منطق الحيوان قطعاً و **لا صوت للنملة يناله سمعنا**

وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ

- و يؤيده أيضا ما يراه علماء الطبيعة اليوم أن الذى يناله سمع الإنسان من الصوت عدد خاص من الارتعاش المادى و هو ما بين ستة عشر ألفا إلى اثنين و ثلاثين ألفا فى الثانية، و أن الخارج من ذلك فى جانبى القلة و الكثرة لا يقوى عليه سمع الإنسان و ربما ناله سائر الحيوان أو بعضها.

وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ

- و قد عثر العلماء الباحثون عن الحيوان من **عجيب الفهم و لطيف الإدراك** عند أنواع من الحيوان كالفرس و الكلب و القرد و الدب و الزنبور و النملة و غيرها على أمور لا يكاد يعثر على نظائرها عند أكثر أفراد الإنسان.
- و قد تبين بما مر أن ظاهر السياق أن للطير منطقاً علمه الله سليمان، و ظهر به فساد قول من قال إن نطق الطير كان معجزةً لسليمان و أما هي في نفسها فليس لها نطق هذا.

وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

- و قوله: «وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» أى أعطينا من كل شيء و «كُلِّ شَيْءٍ» و إن كَانَ شَامِلًا لْجَمِيعٍ مَا يَفْرُضُ مَوْجُودًا - لَأَن مَفْهُومَ شَيْءٍ مِنْ أَعْمِ الْمَفَاهِيمِ وَ قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْإِسْتِغْرَاقِ - لَكِنْ لَمَّا كَانَ الْمَقَامُ مَقَامَ التَّحْدِيثِ بِالنِّعْمَةِ وَ لَا كُلُّ نِعْمَةٍ بَلِ النِّعْمِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يُوْتَاهَا الْإِنْسَانُ فَيَتَنَعَّمُ بِهَا تَقِيدُ بِهِ مَعْنَى كُلِّ شَيْءٍ
- وَ كَانَ مَعْنَى الْجُمْلَةِ: وَ أَعْطَانَا اللَّهُ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ يُمْكِنُ أَنْ يَعْطَاهَا الْإِنْسَانُ فَيَتَنَعَّمُ بِهَا مَقْدَارًا مَعْتَدًا بِهِ كَالْعِلْمِ وَ النُّبُوَّةِ وَ الْمُلْكِ وَ الْحَكْمِ وَ سَائِرِ النِّعَمِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَ الْمَادِيَّةِ.

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ

- و قوله: «إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ» شكر و تأكيد للتحديث بالنعمة من غير عجب و لا كبر و اختيال لإسناده الجميع إلى الله بقوله: «عَلَّمَنَا» و «أَوْتَيْنَا»،
- و احتمال بعضهم أن تكون الجملة من كلام الله سبحانه لا من كلام سليمان و السياق يأباه.